بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة انتهاء شهر رمضان المبارك[1]، أحاول أن أوضح أمراً حسب فهمي يكون نافعا، الإنسان حينما يعمل عملا صالحا مثلا: يصلي يصوم يحج يقرأ القرآن أو يعمل أي عمل صالح، كيف يتحول هذا العمل إلى ثواب في اليوم الآخر؟ كيف ينفع الإنسان؟ كيف يُدخل الإنسان الجنة؟ كيف الصوم يصبح جُنّة من النار؟ كيف يقربك إلى الله ويبعدك عن النار؟ للجواب على هذه الأسئلة يوجد تصوّران

التصوُّر الأول: أن مسألة الأعمال هي تشبه مثلا مسألة إيداع النقود في البنك، شخص يضع مبلغا من المال في هذا الحساب ثم يذهب، بعد مدة يأتي بمبلغ آخر ويضعه في هذا الحساب، ويتجمع المبلغ، هكذا يتعامل الإنسان مع أعماله بنفس الطريقة كأنه فاتح له حساب عند الله تبارك وتعالى، هذا يشبه هذا!

إذن شخص يعمل عملا صالحا، الأعمال الصالحة درجات فلكل عمل صالح قيمة معينة من الثواب، عمل أفضل من عمل، يقرأ القرآن فالقرآن عمل صالح يدخل في حسابه، يصوم فالصوم يدخل في حسابه، الصلاة تدخل في حسابه، هذه الأعمال تتجمع –حتى إذا هو لا يهتم بها– وبعدئذ في اليوم الآخر حينما يموت يُخرج له الله تعالى هذه الأعمال التي عملها ويعطيه ثوابها، هذه هي الصورة الموجودة في الأذهان على الأكثر، وقد يُتصور من هذا القبيل مثلا (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)[2]، يعمل خير: يصلي الصلاة أو يقضي حاجة مؤمن أو يتصدق على فقير فهذا يدخل في حسابه، فهو وضعه في حسابه عند الله ويتصور أن هذا باقٍ

بناءا على هذا التصور: إذا صام الإنسان فقد أدى دوره يعني هذا تسجَّل واكتمل في حسابه ولا يحتاج أن يفكر بأنه كان من الصائمين فقد تسجل الصوم في حسابه والله تبارك وتعالى سوف يعطيه أجره، الله رحمن ورحيم لا يضيّع عمل عامل من الناس من ذكر أو أنثى، بناءا على هذا يُفسَّر مثلا (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا)[3] أن الإنسان يعمل الحسنات وفي اليوم الآخر توزن أعماله الصالحة والسيئة

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (حفظه الله) بهذا الحديث في مسجد البلوش في مساء ٢ شوال ١٤١٣، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) (الزلزلة: ٧)

(3) (التوبة: ١٠٢)

أيهما أثقل؟ فتصير موازنة فهو إما ينجو أو والعياذ بالله يُعذَّب، بناءا على هذا التصور فليس على الإنسان إلا تجميع الأعمال الصالحة وسوف يعطيه الله أجره وثوابه

الصورة الثانية: أن الأعمال أساسا لا تتحول إلى ثواب بشكل مباشر بل تتحول إلى ثواب عن طريق الإنسان، الإنسان هو الذي يحوّل العمل إلى ثواب فالعمل يؤثر على الإنسان تأثيرا معينا ينمّيه يزكّيه يربّيه في هذه الدنيا فتنصبغ نفسه بهذه الأعمال، ثم هذه الحالة كأثرٍ للعمل تتجسد في اليوم الآخر بعنوان قربٍ من الله ورضوانٍ منه، فهو إذا كان قريبا من الله يحشر قريبا من الله، إذا كان يحب الله يحشر حبيباً لله، وإذا كان بعيدا من الله يحشر بعيدا من الله (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ)[٤]

هذا التصوّر موجود لكن عند قليلين، وعلى هذا الأساس لابد أن تمر الأعمال عبر تأثيرها على النفس، النفس هي التي تحاسب، ليس المطلوب من الإنسان أن يجمع الأعمال ويختزنها وإنما المطلوب منه أساسا أن يزكي نفسه ويربيها ويقربها من الله وأن يجعلها راضية مطمئنة بسعيه (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)[٥]

بناءا على هذا فالأعمال بمعزل عن الإنسان لا قيمة لها، لأن الأعمال دائما لها قيمة إذا كان لها تأثير على النفس، بمقدار ما لها تأثير على النفس لها قيمة، وعلى هذا الأساس الإخلاص له قيمة، التفاعل، أفضل الأعمال أشقّها على النفس وأحمزها[٦]،كلما كان التأثير أكثر على النفس كان العمل أثوب، فالجانب الكيفي في العمل هو المطلوب

إذا كان هذا صحيحا –وهو صحيح– إذن تكون هنالك مشكلة، وهي أنه لا يكفي أن الإنسان يعمل عملا ويتعامل معه كمدّخر لأن العمل أساسا بمعزل عن الإنسان لا قيمة له، فإذا الإنسان عمل عملا وأهمله فهذا العمل يموت وينتهي، العمل الذي يبقى حيا في النفس هو الذي تكون له قيمة، حتى في تلك الرواية أن الله تبارك وتعالى يُربي صدقة الإنسان لتصبح كجبل أحد[٧] مثلا لكن هذا بشرط أن الإنسان هكذا (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) هو لابد أن يربيها وينميها، فحينما الإنسان يصوم المفروض أن الصوم قد صبغه

---

[٤] (الإسراء: ٧٢)

[٥] (النجم: ٣٩)

[٦] بحار الأنوار (٢٩٨/٧٠)

[٧] بحار الأنوار (٣٣٧/٤٧) نقلا عن أمالي الشيخ الطوسي

وأثّر عليه، يعني أثّر على نفسه وزكّى نفسه، طوّر نفسه ونمّاها ليكون عبدا لله، هو حاول وسعى أن يفعل ذلك، فالنفس لها قابلية أن تنصبغ، فالنفس أصبحت بالصيام ذاكرة لله وعلى هذا الأساس الأعمال كلها تترابط تتشابك في إيجاد التأثير فتصبغ النفس بصبغة معينة، فيوجِد فيه الصيام الرغبة للتقرب إلى الله أكثر، فإذا الرغبة تغيرت يعني النفس تغيرت بدرجة

إذن هذه الرغبة تبقى، حتى إذا صار يوم العيد العمل الخارجي يتغير، عدم الأكل يتغير إلى أكل، بعض القضايا العملية المرتبطة بالصيام تتغير، أما النفس المفروض أنها لا تتغير فهي نفس واحدة (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)[٨] القلب الذي انصبغ بصبغة الصيام والتقرب إلى الله يكون في خدمة دينه، فهذا القلب المفروض هو ذلك القلب الذي أثر عليه الصيام والبكاء في ليلة القدر، إحياء ليلة القدر، قراءة القرآن، الدعاء، تلك التفاعلات المفروض أنها أثّرت عليّه فزكته، فإذا زكته فأثر هذه الزكاة يبقى موجودا معه

يعني إذا انصبغت نفسك في شهر رمضان بصبغة إلهية، وحصلت رغبة جديدة يعني حالة جديدة حصلت في هذه النفس هذه الحالة هي نقطة بيضاء، لكن لا تبقى على نفس الحالة إلا برعاية وسعي الإنسان لأن النفس الإنسانية وضعت تحت اختيار الإنسان، وليست مثل البدن إذا حصل به جرح، هذا الجرح يبقى أثره سواء أنت شئت أم لم تشأ، لأن البدن لم يوضع تحت تصرفك بل له نظام خاص يخضع للنظام العام في الكون الذي قرره الله تبارك وتعالى

أما النفس الإنسانية فقد وُضِعت تحت تصرف الإنسان فهو بإرادته يستطيع أن يوجّهها كما يشاء، هذه هي المسألة، لو كنا نفترض في شهر رمضان وليالي القدر حصلت للإنسان حالات من التوجّه والارتباط بالله، تلك الحالة التي هي من معالم الحالة الصالحة، إن مثل هذه الحالة إن وُجدت في النفس سوف تبقى إذا أنت حافظت عليها، بمجرد أنك غفلت عنها فهي تموت، يجب أن تنميها وتحافظ عليها، دائما تسقي نفسك بالصلاح وإلا فإنها تتآكل مثل الأرض كلما تسقيها تبقى رطبة وإن لم تسقها فإن الرطوبة تزول، النفس هكذا تكون

إذا كانت المسألة بهذا الشكل فبعد شهر رمضان أنت بحاجة إلى إحياء وسقي وتذكّر، إذا يذكر الإنسان سيئاته ويعرف سيئاته يعني يستطيع أن يحاسب نفسه، فهذا معناه أن هذا الإنسان لا يزال حياً فالميت هو

---

[٨] (الأحزاب: ٤)

الذي لا يستطيع محاسبة نفسه أبدا فلا يتأذى من أي شيء (من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)[٩] إذا تأذيت من هذه السيئة معناه أنك أنت حي، اشكر ربك على هذه الخصلة

بطبيعة الحال هذا لا يكفي، لابد لحياة النفس أن تنميها أنت وإلا تموت (من لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان)[١٠]، أنت الآن بحاجة إلى سقي ما حصّلته نفسك في شهر رمضان، تُذكّر نفسك أنك صمت شهر رمضان، في رواية (ما من عبد يصبح صائما فيُشتم فيقول: إني صائم سلام عليك، إلا قال الرب تبارك وتعالى: استجار عبدي بالصوم من عبدي)[١١] فكان يذكِّر نفسه بأنه هو صائم، كذلك بعد شهر رمضان يذكِّر الإنسان نفسه بأنه كان صائما في شهر رمضان المبارك وأفاض الله عليه –بدرجة– من بركات هذا الشهر، فهذه النفس أصبحت مباركة وقريبة من الله ولا يضيّعها، هذا يحتاج إلى تذكر دائم

في هذا العالم الذي نحن نعيشه هل يوجد هنالك أشياء تذكر الإنسان بأنه كان صائما؟ أساسا في شهر رمضان الأجواء التي يعيشها الإنسان في هذا العالم هل تذكره بأنه صائم أو بأنه فقط يؤدي طقسا من الطقوس؟ أي من الإجابتين صحيحة في نظركم؟ فالأجواء في هذا العالم تجعل الصيام مجرد ممارسات وليس صياما يغير الإنسان يقربه إلى الله يجعله عبدا لله وأنه نوى ألا يكون ضعيفا أمام الأشياء الأخرى، وأنه أراد أن يُكبر الله وحده، وأنه أراد أن يذكر الله وحده، فالأجواء في هذا العالم لا تذكّره بأنه هو صائم بهذا المعنى من الصوم في شهر رمضان، فكيف بما بعد شهر رمضان؟ بمجرد أن شهر رمضان ينتهي يرجع نفس الوضع الذي كان قبل الشهر

لو كان المجتمع مجتمعا صالحا لا يُعبد فيه إلا الله –ذلك المجتمع الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات– فالخلافة تكون للإنسان الصالح ورغبات الإنسان المؤمن هي التي تسري في المجتمع فإذن كل شيء وكل مظاهر الأشياء تذكر الإنسان بأنه في عبودية الله تبارك وتعالى، مثلا شخص إذا يمشي بشكل معين –مختالا– فهو لن يجد مجالا ليساعده الناس على هذا فهو بشكل طبيعي سوف ينسق مع المجتمع، الأشياء الأخرى المبهرة التي تطرح للإنسان الدنيا وعبودية الدنيا هي تزول والأشياء تصبح بحيث تذكّر الإنسان بالصيام وتذكر الإنسان بأنه هو عبد لله: انتبه أنت عبد لله، كل شيء يكون آية (ما من يوم يمر على ابن آدم

---

[٩] وسائل الشيعة (١٠٧/١)

[١٠] بحار الأنوار (١٧٣/٦٨) نقلا عن معاني الأخبار

[١١] وسائل الشيعة (١٦٨/١٠)

إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم أنا يوم جديد)[١٢] فالإنسان المؤمن المفروض يحس بذلك، لكن الأيام الآن مزينة بطريقة جند الشيطان وخيله ورجله والولاية الآن لهذا العالم، الله غالب على أمره لكن هكذا (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)[١٣]

إذن في هذه الصورة ماذا تفعل؟ أنت ولي أمر نفسك، ذلك الأنصاري في بدايات هجرة رسول الله (ص) –عظيمة هذه الحالات– يُنقل أنه حينما نزلت الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)[١٤] فحينما رأوه كان جالسا ويبكي واضعا وجهه على ركبتيه ويبكي فقيل له لم؟ قال كنت أعجز عن نفسي فكُلِّفت أمر أهلي[١٥]، الإنسان ضعيف على أي حال مع هذا الجند المجنَّد للشيطان من كل مكان فماذا يفعل؟ هو لابد أن يكون حذرا جدا لا يسرقه الشيطان نفسه (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[١٦] لا يخسر نفسه، يبرمج يخطط ماذا يفعل؟ يستعين بمن؟ الصوم لا يخسره، القرآن الذي قرأه لا يخسره، الأعمال الصالحة لا يخسرها، البكاء الذي بكاه لا يخسره

من الأشياء المهمة جدا الاستعانة بالإخوة المؤمنين، توجد رواية بهذا المضمون: ما اكتسب مؤمن في هذه الدنيا أفضل من شيئين أخ مؤمن وزوجة صالحة، زوجة صالحة ماذا تفعل؟ تعينه في أمر دنياه وآخرته[١٧]، دنياه التي هي طريق إلى الآخرة، والأخ المؤمن: اكتسبت أخاً مؤمنا اكتسبت جنة، أخا آخر اكتسبت جنتين، ينقل عن إحدى النساء بعد غزوة بدر أنها كانت تحب ولدها كثيرا، فاستشهد ابنها في غزوة بدر ولما أتاها الخبر امتنعت عن البكاء وقالت لا أبكي إلى أن يأتي رسول الله فأسأله لو كان ابني في الجنة ما بكيت، ولو كان ابني ليس من أهل الجنة لأعولت ولبكيته بكاءً شديدا، فينقل أن رسول الله (ص) حينما أتى قالت يا رسول الله إن كل الناس يعرفون أني كنت أكثر الأمهات حبا لابني وكان ابني أكثر الأولاد برا بي فإني منعت نفسي عن البكاء إلى أن تأتي فأسألك يا رسول الله هل ابني في الجنة؟ قال أتظنيها جنة واحدة؟ إنها جنان كثيرة[١٨]

---

(١٢) بحار الأنوار (١٨١/٦٨) نقلا عن أمالي الشيخ الصدوق

(١٣) (الروم: ٤١)

(١٤) (التحريم: ٦)

(١٥) الكافي (٦٢/٥)

(١٦) (الزمر: ١٥)

(١٧) بحار الأنوار (٢٣٨/١٠٣) نقلا عن أمالي الشيخ الطوسي

(١٨) بحار الأنوار (٣٤٠/١٩) نقلا عن المغازي للواقدي

فإن اكتسبت أخا اكتسبت جنة، اكتسبت أخا مؤمنا آخر اكتسبت جنتين، شفيعا وشفيعا.. هؤلاء يشفعونك ويحمونك في هذه الدنيا وفي الآخرة يشفعونك فالآخرة تمر عبر الدنيا، الدنيا مزرعة الآخرة، نحن صمنا نحن تغيرنا نحن حاولنا أن نصلح، نحن حاولنا أن نصبح عباد الله في شهر رمضان لا تنس، أنت إذا تُذكِّر أحدا تشعر براحة لأنك أعطيت شيئا، جرّب: قل لشخص ذكِّره بالله فإذا أنت تشعر بقوة، هو كذلك يذكرك بالله، إذا نسيت ذكرك وإن تذكرت أعانك، شفعك، لا تتأذى منه اسعَ وتمسك به، لا تتوقع أنه هو يأتيك أو أن لك المنّة عليه، لا، بل لا تتركني اشفعني أنا من دونك لا قيمة لي أخسر كل شيء! كن لي أخا، وعلى هذا الأساس من حق المؤمن على أخيه المؤمن ألا يرتاح إلا وأن يسل السخيمة من نفسه[١٩]، بأي طريقة حتى يتقبله لأنه هو تجارته، وكان الله معنا وجعل هذا الحديث نافعا، والحمد لله رب العالمين

---

[١٩] (أمالي الشيخ الصدوق: ٤٠١)